كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
جامعة محمد بوضياف المسيلة

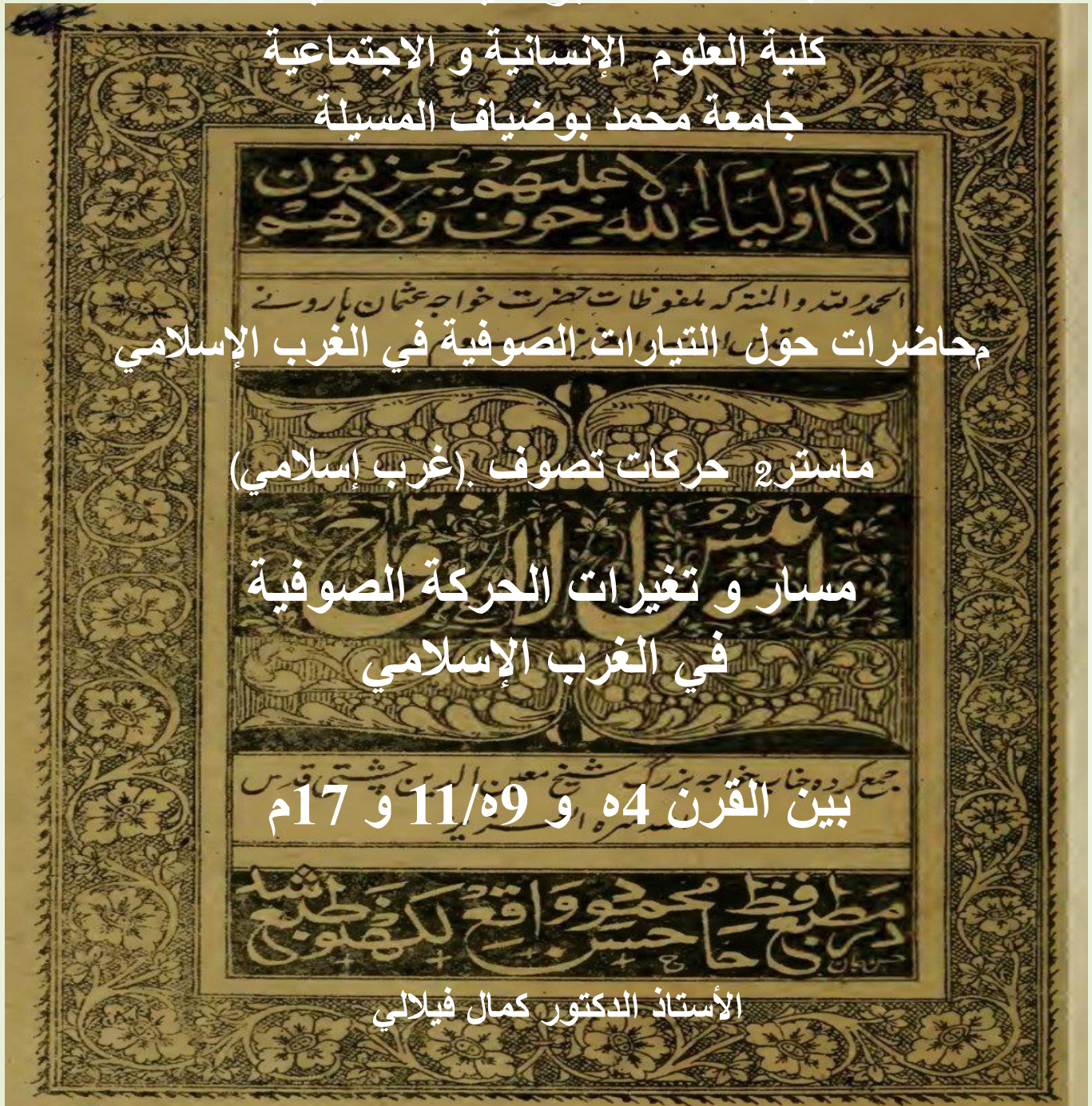

محاضرات حول التيارات الصوفية في الغرب الإسلامي

ماستر2 حركات تصوف (غرب إسلامي)

# مسار و تغيرات الحركة الصوفية في الغرب الإسلامي

بين القرن 4ه و 9ه/11 و 17م

الأستاذ الدكتور كمال فيلالي

- **التصوف حركة طويلة المدى خضعت للتغير لاجتماعي:**
- عرف التصوف، عبر مراحله الكبرى، التي رسمتها الأزمات والاضطرابات السياسية والتغييرات منذ العهد العباسي، تأثيرًا متعدد الأوجه. حيث أخضع المجتمع الإسلامي لتغييرات مفاجئة وعميقة في بعض الأحيان.
- ظهر التصوف بمعنى الزهد في المشرق الإسلامي، كأحد مظاهر التغيرات الاجتماعية كردة فعل على حياة العمران و البذخ والثراء التي سادت المجتمعات المدنية في العهد العباسي (785 - 750).
- في البداية وخلاف لبلاد المغرب ، انتشر التصوف كظاهرة اجتماعية عمودية مست بعص الافراد، ثم كحركة افقية مست أطياف المجتمع و انتشرت بين العلماء في مجالس الفقهاء في البصرة والكوفة، ثم انتقل أي التصوف الى الإسكندرية( ملتقى الطرق بين الغرب و الشرق الإسلاميين) و الشام ثم بلاد الفرس. ونظرا لطول نفس الحركة الصوفية التي اصبح يكتنفها شيء من الغموض، لم تتمكن بعض الكتابات من دراسة الظاهرة الصوفية عبر تاريخ دينامي متحرك للغاية، بفعل الحروب الصليبية التي تخللت القرون الخمسة الأولى للفتح الإسلامي للغرب.
- حتى المدارس التاريخية الحديثة، التي ظهرت في مطلع القرن التاسع عشر، في أوروبا كمدرسة الحوليات، و التي تعتمد على معاينة الظاهرة الاجتماعية و التمحيص و استحضار علم الأنثروبولوجيا كعلم أساسي في معرفة الظاهرة الاجتماعية التاريخية، لم تأخذ بعين الاعتبار التغيرات التي عرفتها حركة التصوف في الغرب الإسلامي و لم تتمكن من فك الكبة و استذراك الخيط الأبيض من الخيط الاسود، - لهذا سنحاول من خلال هذه المحاضرة رصد أهم المراحل التي عملت على تطور الحركة الصوفية المغربية بالنسبة للمشرق و الأندلس، ما دام أن العلاقة بين الاقليمين ، علاقة قديمة ، منذ فتح الأندلس و طيلة المراحل الثلاثة التي تلت ذلك : العهد الاموي (756-929م) المرابطي والموحدي (1121-م1269). حيث أصبحت الأندلس تخضع مباشرة لتأثيرات المغرب بصفة عامة وتتغدى روحيا وثقافيا من امصاره المشعة على الغرب: تلمسان و قاس و الرباط و مراكش و القيروان و تونس.

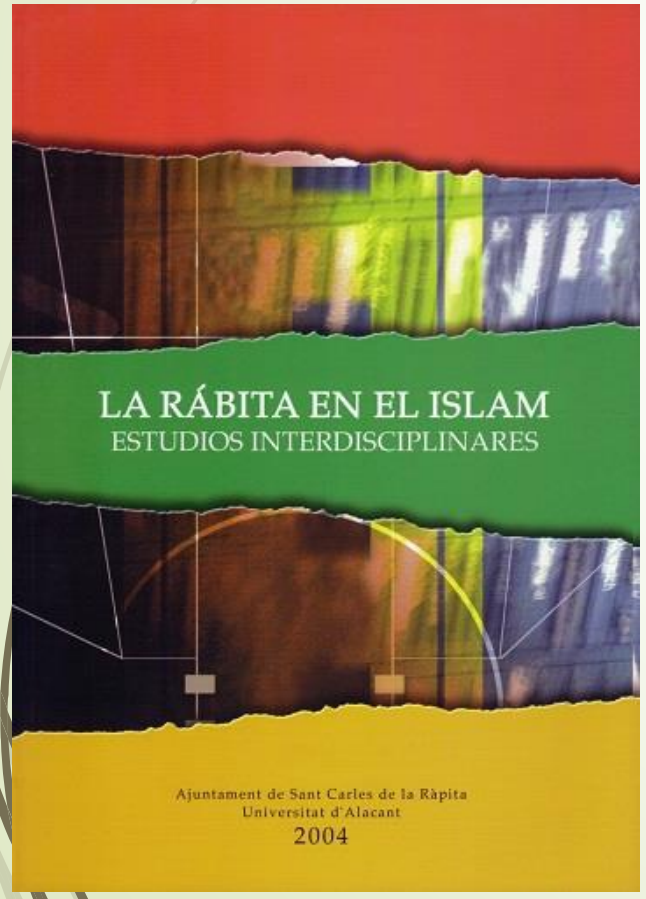


- **الرباط يجمع الجهادين :**
- **منذ بداية البحث في الحركة الدينية في المغرب الكبير في جامعة ستراسبوغ (1982) جلب انتباهنا متغيران بخصوص انتقال التصوف الى الغرب الإسلامي : عامل المرابط الذي ساد الكتابات الأوروبية و ظاهرة النسب الشريف الذي جعل منها Levis le Provençal. احد المظاهر الكبرى للأنثروبولوجيا الإسلامية بالغر ب الإسلامي.**
- **فعلا و فيما يتعلق بالنقطة الأولى ، ابتداء من القرن الرابع الهجري، لم يعد الزهد في الغرب الإسلامي يتوقف على خرجي المدارس الفقهية و المجالس الروحية الرائدة التي ظهرت في المشرق الإسلامي و انتقلت الى بلاد الاندلس عن طريق المغرب (تلمسان و فاس)، بل أصبح التصوف يخص اهل الرباط في مفهوم الجهاد الجماعي ضد العدو، و الفردي لكبح جماح النفس و اطفاء غرائزها السلبية و الارتباط كلية بالخالق. فاصبح سيرة يقوم على التقشف العكوف و الالتزام بالقران و السنة . و في تعريفه للتصوف يقول جنيد : هو انك تحيا في الله و تموت في نفسك. و تعزز مفهوم التصوف بالزهد و الخلوة و المرابطة بعد انتقال الحملات الصليبية الى غرب بحر الروم وانتشرت الرابطات في الجنوب التي حلت مكان المنيستيرات البيزنطية، على تخوم دار الحرب في شكل محارس و ربطات و زوايا و خلوة ينزوي فيها العباد بعيدا عن العمران و الحراك الاجتماعي . و قد اعتبر عميد الاستشراق العلامة الاسباني ميكل ذي ابالزا Mikel de Epalza، الذي شاركنا في عدة مؤتمراته المنظمة بسان كارسلس دي لا رابطة و جامعة اليكانت حول الرباطات، بين سنة 1994 و 2000 « Los ribata Islam » كللت بأعمال ثمينة نشرت نهاية التسعينات و بداية الالفية الثانية ، بان مناستيرات الاندلس و افريقيا ما هي الا رابطات اسلامية كانت تسمى بالمحارس قبل القرن 11 م و ليس لها علاقة بالدويرات البيزنطية .**
- **----------**
- **يمكن تحميل الكتاب التكريمي الذي هديناه لميكل دي ابالزا بعد وفاته رحمه الله. على الأنترنت ,Kamel Filali Mélanges Mikel de Epalza ;**

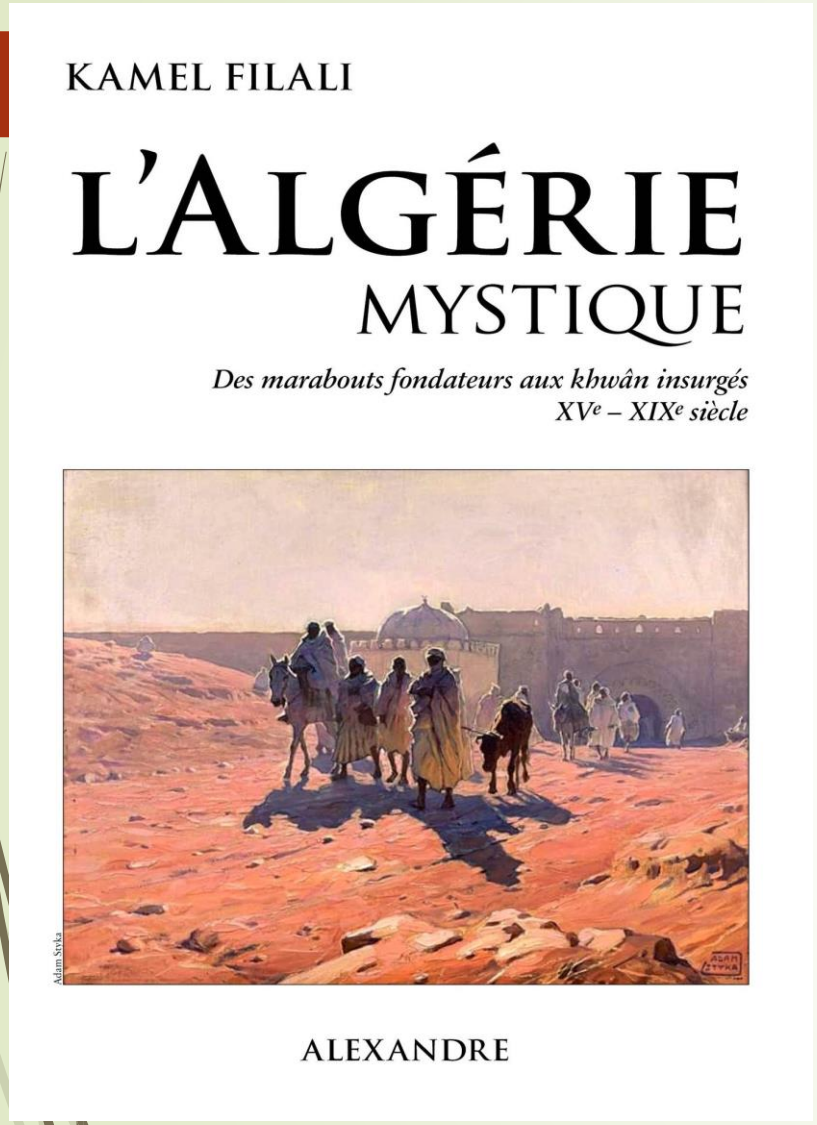


- فكانت الربطات والمحارس منتشرة على طول الساحل المغاربي من مرسى الخزر الى القالة شرقا الى مرسى الغزوات بالحدود المغربية الى رباط سالة بالرباط. وأشهرها في المغرب الاوسط رباط بونة عنابة الذي دفن فيه ابى مروان البوني، وهو من كبار علماء و زهاد عنابة له شروح و هوامش مثل شرح موطأ مالك. و على الساحل الشرقي لعنابة يوجد كذلك رباط رجال الحمراء، و سمي برباط الحمراء، أي الشمس الحمراء لأن العباد كانوا يرابطون و يتعبدون فيه لطلوع الشمس. و قد انتشرت الرباطات في تونس في عهد الاغالبة اذ يقول أبو الفضل بشان هذا التطور : "كنا نرابط في رباط المنستير على ثغور سوسة من افريقيا في حلقات زهد وجهاد وإذا حل العيد نفك الرباط لنتعيّد (كذا)".

- وفي كتابنا الجزائر المتصوفة (L'Algérie Mystique) الذي نشر في باريس سنة 2003 حاولنا رسم اهم المحطات التي عرفته الحركة الصوفية في بلاد الغرب الإسلامي من خلال دينامية ، اثرت فيها مظاهر و ظروف منها داخلية و البعض منها خارجية.

# اهم المراحل التي مربها التصوف مستخرج من كتابنا
# L'Algérie Mystique

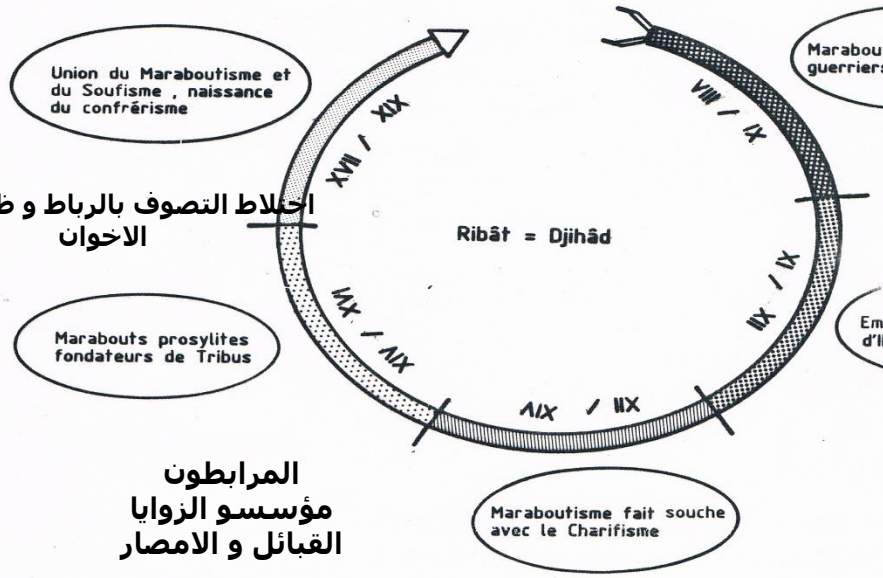


**المرابطون الزهاد : ربط الجهادين**

**اختلاط التصوف بالرباط و ظهور طرق الاخوان**

**دولة المرابطين : دعوة الحق و رفع المظالم و كسر المغارم**

**المرابطون مؤسسو الزوايا القبائل و الامصار**

**اختلاط الصوفي و المرابطية بالشريفية**

- قمنا بتفصلها الى المحطات التالية :
- في اول ظهور لها كحركة جماعية سياسية اسسها ابن ياسين الجدالي تحت شعار "دعوة الحق و رفع المظالم و قطع المغارم" و ثمنت مجهودات صاحب الدعوة الفعلية بقيام الإمبراطورية المرابطين(541 -447ه /1055-1143). سادت المرحلة الممتدة بين القرننين الرابع والخمس الهجرين و عمت كل الغرب الإسلامي و جنوب الصحراء.

- 1. مرحلة ظهور الأقطاب و المجالس في تلمسان فاس مرسية و اشبلية و تونس. امتدت هذه المرحلة من القرن القاني عشر إلى عهد الدولة الموحدية و الدويلات الثلاثة التي تمخضت عنها. و ظهر أبي يعزى الهسكوري و هو اول زاهد امي من اصل بربري تتلمذ عليه الشيخ الغوث واسطة العقد الذهبي للسلسة الصوفية أبو مدين شعيب.

- 2. مرحلة انتشار المرابطين و الاشراف كأساطير مؤسسة لأمصار المغرب، والانصهار التام للحركة الصوفية ا في محك بوتقة الهوية المغاربية ذات القاعدة البربرية التي اصبح فيها عامل الرباط عاملا أساسي. امتدت هذه المرحلة من نهاية القرن الثالث عشر الى القرن السابع عشر. حيث اتنشر المرابطون أصحاب الكرامات الدعاة و بناة الامصار و القبائل عبر كل انحاء المغرب الكبير .
- في سياق الفتوحات الإسلامية انتقلت الحركة الصوفية الى الغرب الإسلامي على اثر الحملات الصليبية ، حيث كان لدور مؤسسة الرباط دوورا فاعلا في الزهد و أصبحت تعني الجهادين : جهاد الدفاع عن دار الإسلام و جهاد الاعتكاف و الذكر للسمو بالروح. حيث عرفت مؤسسة الرباط، خاصة في الغرب الإسلامي، تطورا في المعنى و المضمون. و هذا منذ القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، اذ تحولت من مجالس الزهد في جنوب المغرب الاقصى، في مرحلة أولى، الى حركة رباط فردي بعد ان كان جماعا لمترددين عليها بالبحرية البحر او رجال البحر، مثل سيدي علي ببجاية او سيدي البحري بتونس وغيرهم.

- بعد القرن الثالث عشر، و بظهور الاشراف في جنوب غرب المغرب و انتشار الشرفية و الاولياء المؤسسون للربطات و الامصار في بلاد المغرب، ارتبطت الحركة الصوفية رسميا بالمرابطة كعمل فردي و بالشريفية كنسب اهل **البيت**

- **3.اختلاط سلسلة الزهاد بالشجرة النسب الشريف:**

- اذا كان المشرق موطن الأنبياء فالمغرب هو موطن و مشتلة الاولياء أصحاب الكرامات. فعلا اختلاط الحركة الصوفية بالحركة الشرفية التي انطلقت من مشاتل الشرف في الساقية الحمراء و تافيلالت و فاس، في القرن الخامس الهجري. و من البداية لاحظنا ان اقطاب التصوف من القطب الغوث سيدي بومدين شعيب الي مرورا احمد الزروق الى الشيخ الملياني الى اخر السلسة الذهبية كلهم ينحدرون من شجرة النسب و الشريف.

- . 2. في نهاية القرن الثالث عشر انطلقت حركة مرابطية أخرى من بؤر الشريفية في سجلماسة بالساقية الحمراء الدرع وفاس، لكن هذه المرة فردية. كان الهدف منها دعوة الحق و نشر تعاليم القران بين الاقوام البربرية، حيث اصبح الاعلام المرابطين مؤسسي معالم في شكل زوايا بصمت الهوية المغاربية و تأسست من حولها الأمصار (سيدي عيسى ، سيدي إبراهيم و سدي عيش ..الخ)

- 4. في القرن الثامن الهجري، اختلط التصوف بالمرابطة وبالنسب الشريف ونتج عنها طرق محلية وسمت بطرق الاخوان، التي تختلف عن الطرق الإسلامية الرائدة كالقادرية في المشرق و الشاذلية في المغرب التي نشأت في القرن الثالث عشر في اطار مبادئ الشريعة و الحقيقية دعوة الحق بالبحث عن الحقيقة الالاهية في اطار الشريعة المحمدية و الالتزام في العكوف بالذكر و العبادة. في القرن الثامن عشر تفرعت عنها أولى الطرق في المغرب : الدرقاوية واليوسفية و الكركرية و التجانية و الحنصالية و الرحمانية.

**جماعات الاخوان :**

- هكذا اصبحت طرق الاخوان في الغرب الإسلامي، التي يطلق عليها البعض بالطرق الصوفية ، حركة خاصة بالمغرب الإسلامي، تختلف جذريا بأمهات الطرق الصوفي التي ظهرت في المشرق كالطريقة القادرية.
- بعد ارتباطه بالرباط والشرفية قطع التصوف في الغرب الاسلامي في الميدان السياسي اشواطا كبيرة. حيث انه أصبح يوفر الشرعية للأسر الحاكمة الحسنية لا الحسينية المتشيعة. التي تمكنت من بسط نفودها بفضل العامل الروحي التي شكلت فيه الزوايا معلما أساسيا في استقطاب السكان و تأسيس العمران و أصبحت تنافس المساجد.
- والبعض منها بزغ نورها فاستغلت نفوذها للثورة والانفصال عن الحكم المركزي الذي قام على الجهاد و على النسب الشريف. فظهرت حركات اخوانية ثورية لبعض اقطاب التصوف كالحركة الدلائية في المغرب و الدرقاوية التي انتشرت في بلاد القبائل الصغرى و كانت الرائدة في الثورات الشعبية ضد الاتراك العثمانيين في المغرب الأوسط و في منتصف القرن التاسع عشر ضد الاستعمار الفرنسي.

## المادة المصدرية المتوفرة:

- اما المصادر الأساسية التي أعتمد عليها في هذه الدراسة الخاصة بمتغيرات حركة التصوف في الغرب الإسلامي ، فهي تتكون في الغالب من المناقب (سيرالاولياء) ، أو الطبقات (تصنيفات العلماء) ، أو النوازل (الخلافات الفقهية الطارئة) ، و هذه المصادر بالرغم من و فرتها الخبرية و الوصفية للأعلام و العلماء الا ان خطابها يركز بشكل عام على السير و الخلافات الفقهية ، دون إظهار أي اهتمام لأي سياق تحليلي و لا تأريخي كرونولوجي للظواهر الاجتماعية. ويعود استفحال هذا النوع من الأدبيات: كتب التراجم والمناقب كنمط من التاريخ العمدي الذي يخص الاعلام من رجال التصوف و اهل الرباط و ارتباطهما بالولاية و الشرفية،
- هذا النوع من الولاية و التصوف هو الذي اصبح يسود الغرب الإسلامي منذ القرن الرابع عشر الى انتشار الولاء الى الاولياء و الزوايا.

- المادة المصدرية :
- عبد الكريم الفقون، منشور الهداية،

- أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف
- إبن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان
- ابن سولة ، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ، أبو العباس الناصري ، كتاب الاستقصاء في تاريخ المغرب الاقصى...،
- محمد بن عبد الكريم المغيلي في المنطق شرح به رجزه إمناح الأحباب في شرح منح الوهاب
- احمد الغبريني ، قاضي بجاية، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية،

- ب- المراجع:
- التصوف في المغرب العربي و أفريقيا

جمع وإعداد: مازن الشريف الثقافية للنشر و التوزيع

- دو نوفو الاخوان جماعات دينية ترجمة كمال فيلالي الشهاب 2003

-Alfred Bel, les confrérie religieuse musulmanes ,

- Kamel Filali , l'Algérie mystique, Publisud Paris 2003-

- Frederick de Young , Bernd Radtke et (kamel Filali), Mysticism contested , Brill, Leiden , Boston 1999

- Louis Rinn, Marabouts et Khouan , Adolph Jordan 1884

- *Emile Dermenghem*. — Vies des saints musulmans. Nouvelle édition revue -et continuée, Alger, éditions Baconnier, s. d. ; in-12 de 418 p.

- *Xavier Coppolani , Les confréries religieuses musulmanes,* Année 1898.

## كتب و اسهامات الأستاذ فيلالي كمال في و الحركة  الصوفية و المرابطية

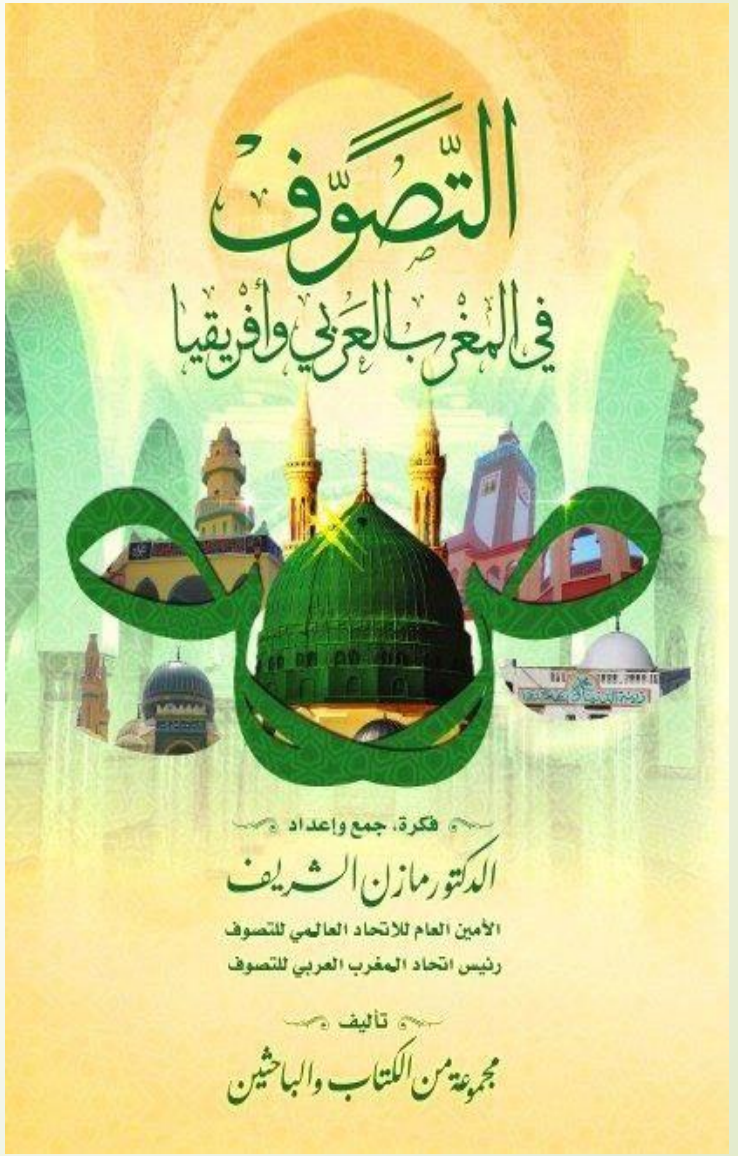

هجرة علماء
غريس وتلمسان
إلى فاس في
العهد العثماني
المؤلف
كمال فيلالي

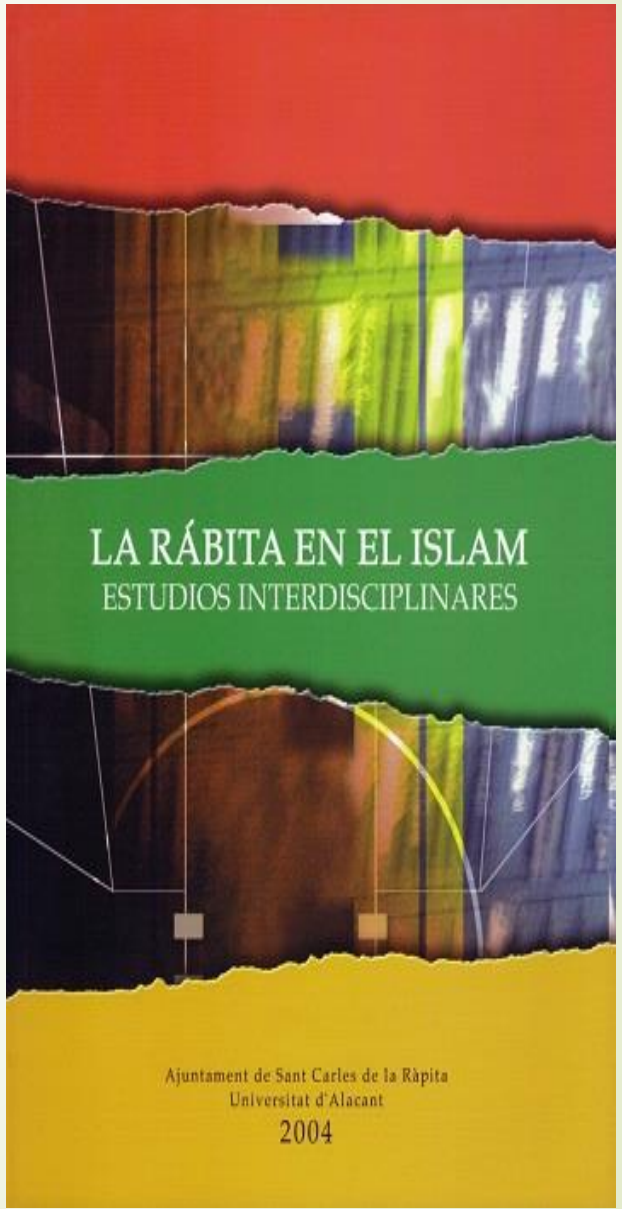
LA RÁBITA EN EL ISLAM
ESTUDIOS INTERDISCIPLINARES
Ajuntament de Sant Carles de la Ràpita
Universitat d'Alacant
2004

البروفيسور كمال الفيلالي
http://www.kml-filali